جذور دولة اليمين الجديدة: نتنياهو وتشكيل إسرائيل الثّالثة

مهنَّد مصطفى

يهدف هذا البحث إلى تحليل جذور دولة اليمين الجديدة، وهو المصطلح الذي يشير إليه البحث الحالي إلى هيمنة اليمين على المجال السياسي، الاجتماعي والأيديولوجي في إسرائيل في العقد الأخير. حيث يطلق البحث على هذه الفترة «إسرائيل الثالثة»، فإذا كان حكم «مباي» وحزب العمل في العقود الثلاث الأولى قد أسس لإسرائيل الأولى، وصعود حزب الليكود للحكم عام 1977 قد دشَّن فترة إسرائيل الثانية، فإنّ العقد الأخير الذي يحكم فيه نتنياهو واليمين يؤسّس لدولة إسرائيل الثالثة، التي تتميز بهيمنة اليمين على المجال السياسي والعمومي في إسرائيل محدثا بذلك قطيعة عن إسرائيل الأولى وإسرائيل الثانية. لا يهدف هذا البحث إلى تحليل سمات ومميزات العقد الأخير، بل يحاول تحليل جذور هذه الفترة بالعودة إلى فترة حكم نتنياهو الأولى (1996-1999)، والتي يعتبرها البحث أنّها مهّدت لهذه الفترة على خلاف الأدبيات التي تطرقت إلى هذه الفترة ووسمتها بالفشل الكبير لحكم نتنياهو. يقسم البحث الحالي إلى ثلاثة مباحث، يتناول الأول دخول نتنياهو الحقل السياسي الإسرائيلي، بينما يناقش المبحث الثاني، قراءة لفترة نتنياهو الأولى، ويتناول المبحث الثالث خلاصة البحث ونقاش لطروحاته المركزية.

دخول نتنياهو الحقل السياسي: خبير الإرهاب والإعلام

دخل نتنياهو الحقل السياسيّ الإسرائيلي في العام 1982، بعد أن توجَّه سفير إسرائيل في الولايات المتحدة، آنذاك، موشيه أرنس، باقتراح له أن يشغل منصب الملحق السياسي للسفارة

Alhasd-2018-New2.indd 47 06/08/2018 11:58

الإسرائيلية في واشنطن. استرجع أرنس هذه اللحظة بقوله، «في بداية عام 1982 توجهت لتسيبي رافيّح واقترحت عليه منصب الملحق السياسيّ في سفارة إسرائيل في واشنطن. رافيّح رفض ذلك. توجهت لبيبي [الاسم المحبَّب لبنيامين نتنياهو] الذي وافق بعد عشرين دقيقة. عندما يقولون لي اليوم: أُنظر ماذا فعلت، لدي جواب: ماذا تريدون مني، هذا ذنب تسيبي رافيّح» (كسبيت و كفير، 1997، صفحة 5). التقى أرنس نتنياهو أول مرَّة خلال محاضرة كانت لنتنياهو في بوسطن، وقد أعجب أرنس بقدرته الخطابية، وعرضه للأمور، فضلا عن لغته الإنجليزية الممتازة الطَّلِقة، حيث وصفه أرنس بأنّه رجل دعاية طبيعي (فيردي، 1997، صفحة 172). عُيّن نتنياهو ملحقا سياسيا في خضم الحرب على لبنان. ومن أجل هذا المنصب تنازل، كما هو متبع، عن جنسيته الأمريكية، في هذه الأثناء كان لنتنياهو بنت وزوجة أمريكية جديدة.

في واشنطن بدأ نتنياهو ببناء قيادته السياسية، فقد كان لمكانة أبيه ومعارفه في واشنطن، ومن خلال العلاقات التي عززها خلال عمله في معهد يونتان، دَوْر في تعزيز وتألُّق مكانته الدبلوماسية في الولايات المتحدة. استطاع نتنياهو أن يثبت كفاءته كدبلوماسي ناجح في وزارة الخارجية.، ونجح بدعم من أرنس مباشرة في أن يتفوّق على زملائه في السفارة رغم أقدميتهم وتجربتهم. كان نتنياهو يعتبر نفسه ابنا لارنس، والأخير كان يدفع نحو دمجه ومساعدته، وقد كان نتنياهو يشغل منصب السفير بالوكالة، خلال مكوث أرنس في إسرائيل (فيردي، 1997، صفحة 175).

خلال الحرب على لبنان، جاءت مبادرة الرئيس الأمريكي رونالد ريغن لوقف الحرب، والعمل على مبادرة سلام أردنية-فلسطينية-إسرائيلية.، واقترح نتنياهو على أرنس فكرة أن تقوم إسرائيل بالترحيب بالمبادرة على أن يترك للآخرين رفضها. بيغن رفض هذا العرض، وشكَّل هذا الأمر بالنسبة لنتنياهو درسا سياسيا، وكما تشير الصحفية فيردي فإن نتنياهو اعتبر كل مبادرة أمريكية «مأساة»، واتخذ موقفا مغايرا عن موقفه الأول محاولا تفسير وتسويق الموقف الإسرائيلي الرسمي في العالم (فيردي، 1997، صفحة 176).

بدأ نتنياهو في هذه الفترة التقرب من الحزب الجمهوري، ومن المجموعات المحافظة المقربة للحزب التي اعتبرت أنّ الاتحاد السوفييتي يمثل «مملكة الشر»، بتعبير رونالد ريغن. حيث سيتبنى نتنياهو هذا الموقف خلال الثمانينات معتبرا أنّ الإرهاب العالمي يعتمد على دعم الاتحاد السوفييتي، وبعد الحرب الباردة سيعتبر إيران هي الدولة الداعمة له. وذلك انسجاما مع رؤيته أنّ الإرهاب يحتاج دائما إلى دولة تدعمه (نتنياهو، 1987). في مقابل تقربه من مجموعات يمينية جمهورية محافظة، اعتبر الحزب الديمقراطي مماثلا لحزب «مباي» في

Alhasd-2018-New2.indd 48 06/08/2018 11:58

الحقل السياسي الإسرائيلي الذي يبغضه نتنياهو وعائلته تاريخيا.

استمر نتنياهو في عمله في الولايات المتحدة، وهذه المرَّة كمندوب إسرائيل في الأمم المتحدة (1984-1988). ركَّز نتنياهو خلال عمله على المسألتين التي يحب الحديث عنهما، الكارثة اليهودية والإرهاب. ومن خلالهما استطاع نتنياهو الظهور بصورة مكثفة في الإعلام الأمريكي. نجح نتنياهو في إقناع الأمم المتحدة بفتح إرشيف المؤسسة حول الكارثة، وعلى الرغم من أنّ هذا الإرشيف لم يحمل ما هو جديد بهذا الخصوص، إلّا أنَّ نتنياهو نجح في الحصول على كل الفوائد الدعائية من هذا الحدث على المستوى السياسي الإسرائيلي والشخصي. بالنسبة لمسألة الإرهاب، سوّق نتنياهو نفسه كخبير للإرهاب معتمدا على نشاطه في معهد يونتان لدراسة الإرهاب، وكونه شقيق يوني الذي قُتل خلال عمله ضد «الإرهاب». في هذه الأثناء سيُصدر نتنياهو كتابه الأول (من تحريره) حول الإرهاب بعنوان «كيف تستطيع النظم الديمقراطية الانتصار على الإرهاب»، وهو كتاب تجميع لمحاضرات المؤتمر الذي نظَّمه المعهد في هذا الشأن وحرّره نتنياهو (نتنياهو، 1987).

في لقاء أجراه معه الصحفي اليميني يعقوب أحيمئير في العام 1985، لم تكن أجوبة نتنياهو تختلف عمّا هو اليوم، ففي اللقاء سأله الصحفي هل هناك حاجة للتفاوض مع العدوّ؟ أجابه نتنياهو: دعني أسئلك، هل كان هناك حاجة للحديث مع هتلر؟ وفي أعقاب ذلك سأله الصحفي، هل سنبقى نقاتل كل الوقت؟ أجابه نتنياهو: هناك توقع أن تتحول إسرائيل إلى ديزني-لاند، لن يكون ذلك، ألا يوجد في تاريخ الشعوب والدول مَن عاشوا كل الوقت في الحروب، سيبقى هناك دائما قتلة ومجرمون، وسنبقى دائما نحتاج إلى الشرطة، لا يمكن البحث عن نهاية ذلك (فيردي، 1997، صفحة 206). مقولات سيبقى يردّدها نتنياهو حتى الآن، حيث اعتبار أعداء إسرائيل بأنّهم هتلر، وأنّه على إسرائيل الاستعداد الدائم للحرب في كل لحظة. وجد نتنياهو في تسويق نفسه إسرائيليا ودوليا على أنّه خبير بالإرهاب تعويضا عن الخلفية العسكرية التي ميّزت معظم القيادات السياسية ذات الخلفية العسكرية. فإسرائيل عرفت العسكر الذين يخوضون في الشأن السياسي والاستراتيجي، ويحظون بشرعية جماهيرية كبيرة، وما كان يستطيع نتنياهو أن يجد له مكانا بينهم رغم خدمته في وحدة «متكال»، فهي وحدة تقوم بتنفيذ أعمال تكتيكية عينية، وليس لها تداخل كبير في الشأن العسكري الشامل، وهو الذي ميز جنرالات دخلوا السياسة مثل يتسحاق رابين، وأرييل شارون وموشيه ديان وغيرهم، كما أنّ قائد وحدته، إيهود براك، أكمل خدمته العسكرية وحفر لنفسه مكانة مرموقة في الذاكرة والتاريخ العسكري الإسرائيليين. لذلك ركَّز نتنياهو خلال حياته على موضوع الإرهاب، وحتى الآن. وقد اعتبر نفسه الخبير الأوَّل عالميا في هذا الشأن. وسوّق نفسه بذكاء كبير في

Alhasd-2018-New2.indd 49 06/08/2018 11:58

هذا المضمار.

ترأَسَ حزب الليكود (حركة حيروت- تاريخيا) منذ تأسيس دولة إسرائيل أربعة أشخاص، شكّلوا كلهم حكومات في إسرائيل: مناحيم بيغن، يتسحاق شامير، أرييل شارون ونتنياهو. غير أنّ نتنياهو يختلف عن الثلاثة الأوائل. فكلهم من جيل المؤسسين، وهو من مواليد إسرائيل (عام 1949). اثنان منهم (شامير وشارون) جاءوا بشرعية ارتكزت أيضا على خلفيتهم العسكرية (Mitchell، 2015). شامير بدَوْره كان في عصابة الليحي التي حاربت في عام 1948، وانخرط في الجهاز الأمني الإسرائيلي لاحقا، والثاني الذي لقب «ملك إسرائيل»، شارك تقريبا في كل حروب إسرائيل، وكان جنرالا ترك بصمة في العسكرية الإسرائيلية. أمّا مصدر شرعية بيغن فكان يعود إلى كونه الأب المؤسِّس لليكود وقائده التاريخي، والمعارض الشرس لدافيد بن غوريون. في المقابل، فإنّ نتنياهو يفتقد إلى كل هذه المصادر من الشرعية، لذا طوّر منظومة «خبير الإرهاب» كمصدر شرعية جديدة، فضلا عن تأجيج الكراهية والخوف في صفوف الإسرائيليين. فإذا كان بيغن يتميَّز بخطاب شعبيّ احتوائي، فإنّ نتنياهو تميّز بخطاب شعبيّ إقصائي.

وعودة إلى مسيرته السياسية، فقد عزّز نتنياهو علاقاته مع الإدارة الأمريكية الجمهورية، ومع وسائل الإعلام الأمريكية، وكان يشدّد على علاقته الشخصية مع رئيس الحكومة شامير ووزير الدفاع أرنس (كانت تحكم إسرائيل حكومة وحدة وطنية)، وكان يعتبر نفسه أهم من السفير الإسرائيلي في واشنطن. شكَّل الانكشاف الإعلامي لنتنياهو في الولايات المتحدة، ومنصبه كمندوب إسرائيل في الأمم المتحدة مرحلة هامة في انطلاقته الشخصية القويّة في الحقل السياسي الإسرائيلي بعد ذلك. وفعلا، بعد انتهاء مدته في الأمم المتحدة، أنتخب نتنياهو في المكان الخامس في قائمة الليكود لانتخابات عام 1988، وكان ذلك نجاحا باهرا بالنسبة له، فقد برز كشخصية سياسية حزبية لامعة، واستطاع أن يحصل على ثقة أعضاء الليكود، والتواصل مع فروع الحزب. في ذلك الوقت كان الليكود يبحث عن شخصيات جديدة شابَّة وكرزماتية، ووجدوا ذلك في شخصية نتنياهو، إلّا أنَّ شامير رفض لاحقا تعيينه وزيرا في الحكومة رغم نجاحه الكبير في الانتخابات الداخلية، وتم تعيينه نائبا لوزير الخارجية آنذاك، دافيد ليفي. وعيَّنه لاحقا نائب وزير في مكتب رئيس الحكومة. هذه الحكومة خاضت تحدي حرب الخليج الأولى، وكان نتنياهو أحد أبرز المتحدثين عن الحكومة في وسائل الإعلام العالمية خلال الحرب، فقد كان راعيه السياسي موشيه أرنس وزيرا للدفاع. وبعد الحرب جاءت المبادرة الأمريكية لعقد مؤتمر مدريد للسلام، وسيكون لنتنياهو دَوْر مركزيّ فيه.

في كتابهما «الراعي» حول السيرة الذاتية لشارون، يشير الكاتبان غادي بلوم ونير

Alhasd-2018-New2.indd 50 06/08/2018 11:58

حيفتس إلى أنَّ شارون عارض مشاركة يتسحاق شامير في مؤتمر مدريد للسلام، ويؤكدان أنَّ شامير قام خلال هذه الفترة بإقصاء شارون الذي كثّف من البناء في المستوطنات بصفته وزيرا للإسكان، وقرّب إليه بنيامين نتنياهو الذي شغل في تلك الفترة نائب وزير في مكتب رئيس الحكومة ونائب وزير الخارجية. حاول شارون إفشال مؤتمر مدريد، ففي كل زيارة كان يقوم بها وزير الخارجية جيمس بيكر لإسرائيل والمنطقة للتحضير لمؤتمر مدريد، كان يستقبله شارون ببناء المزيد من الوحدات السكنية في المستوطنات، وإقامة مستوطنات جديدة، مثل: بات عين، أفنى حيفتس، طلمون وعوفريم (بلوم و حيفتس، 2005، صفحة 453). عشية انعقاد مؤتمر مدريد، أعلن شارون عن عزمه على مناسفة شامير على قيادة حزب الليكود، وكان هذا الإعلان دراماتيكيا، حيث لم ينافس أحد شامير على قيادة الليكود، لا سّيما قادته التاريخيون (شارون، موشيه أرنس- وزير الدفاع، دافيد ليفي- وزير الخارجية). في هذه الفترة تدهورت أيضا علاقة دافيد ليفي مع شامير، حيث فضّل الأخير نائب وزير الخارجية بنيامين نتنياهو عليه في إشراكه في التحضيرات لمؤتمر مدريد، وهمّش ليفي كوزير للخارجية. وعلى الرغم من أنّ الدول العربية المشاركة في المؤتمر، أعلنت أنّها ستبعث بوزراء خارجيتها كممثلين لها في المؤتمر، اختار شامير السفر برفقة نتنياهو للمشاركة في المؤتمر تاركا ليفي في إسرائيل. تحوّل نتنياهو الذي رافق شامير إلى الناطق الرئيسيّ في وسائل الإعلام العالمية لشرح موقف إسرائيل، مستغلا براعته في اللغة الإنجليزية، وقدرته الخطابية والدعائية.

في هذه الفترة تنبّه شارون إلى أنّ عليه خوض الانتخابات بجدية على منصب رئيس حزب الليكود، وهذه المرّة خوفا من النجم الصاعد الجديد في الحياة السياسية، بنيامين نتنياهو، الذي قد يشكّل بديلا محتملا لشامير بعد أن تعززت شعبيته في السنوات الأخيرة، وحصل على شرعية شامير كمتحدِّث أول باسم دولة إسرائيل، على حساب القيادات القديمة في الليكود. وقبل أيام من افتتاح المؤتمر في تشرين الأول عام 1991، طلب شارون من شامير الاستقالة بسبب مشاركته في المؤتمر، وذلك تعزيزا لمكانته في حزب الليكود (بلوم و حيفتس، 2005، صفحة 455). إلى جانب بداية صعود نتنياهو كبديل للقيادة في الليكود كما توقع شارون، وهو ما حصل لاحقا، كشف يسرائيل هرئيل أحد قيادات المستوطنين، ورئيس مجلس المستوطنات سابقا، في مقالة له، عن أنّ بيني كتسوبير وهو أحد قيادات حزب «هتحيا» اليميني المتطرف، والذي كان شريكا في الائتلاف الحكومي في حكومة شامير ذكرَ أنّ نتنياهو عمل على إقناعهم لإسقاط حكومة شامير بسبب مشاركته في مؤتمر مدريد، وهو الذي شارك في المؤتمر نفسه، حيث هاتف نتنياهو رئيس الحزب يوفال نئمان، وطلب منه تهديد شامير بالانسحاب من الحكومة؛ لأنّه أي شامير، على وشك الانهيار في المحادثات، وطالبه «بإيقاف شامير عند حده» (هرئيل،

Alhasd-2018-New2.indd 51 06/08/2018 11:58

2017). وجاء مقال هرئيل في أعقاب الضغط الذي يمارسه نتنياهو على اليمين الإسرائيلي بعدم الانجرار وراء مطالبته بالاستقالة بسبب قضايا الفساد؛ لأنّ ذلك سيعيد سيناريو إسقاط حكومة شامير والتي أدت إلى توقيع اتفاق أوسلو لاحقا، حيث بعث رسالة إلى اليمين مفادها أنّ إسقاطه سيؤدي إلى أوسلو جديد. وهو ما دفع قيادة حزب هتحيا الخروج ضد نتنياهو بهذا الخصوص، لتفنيد ادعائه بدَوْرهم في إسقاط حكومة شامير.

على كل حال، حدّد حزب الليكود شهر شباط من العام 1992 موعدا لانتخابات رئيس الحزب، في هذه الدورة تنافس نتنياهو على عضوية في قائمة الليكود فقط. في حين أنّ شارون الذي كان يأمل بالفوز في هذه الانتخابات برئاسة الحزب، قد حصل على المركز الثالث بواقع 22%، فيما حصل شامير على 46% ودافيد ليفي على 31%. في هذه الانتخابات حصل نتنياهو على الموقع الخامس في قائمة الليكود للانتخابات. في الانتخابات العامة في إسرائيل في نفس العام خسر الليكود الحكم، وصعد حزب العمل إلى الحكم من جديد بقيادة يتسحاق رابين. في أعقاب الخسارة، نشبت في الليكود صراعات داخلية بين القيادات القديمة، الأمر الذي استفاد منه النجم الصاعد نتنياهو، حيث عرض نفسه كقيادة جديدة في الحزب، لا سيَّما في أعقاب قضايا الفساد التي بدأت تنكشف في فترة سنوات حكم الليكود الأخيرة، والتي أخرجت مئات الآلاف من المتظاهرين إلى الشوارع رافعين شعار «سئمنا من الفاسدين»، وهي الاحتجاجات التي استغلها حزب العمل جيدا في حملته الانتخابية التي حملت شعار «إسرائيل تنتظر رابين».

قبل خسارة الليكود الحكم، أقرّ الحزب قانون الانتخابات المباشرة لرئاسة الحكومة، على أن تُطبَّق أول مرّة في الانتخابات التي تعقب انتخابات 1992، وكان نتنياهو من المؤيدين البارزين لهذا التغيير، وربما يكون هذا أحد الأسباب التي تفسر تأنيه في المنافسة على رئاسة الليكود عام 1992، فضلا عن تمرغ حزب الليكود بقضايا الفساد التي أراد نتنياهو الابتعاد عنها، وتحضير نفسه لانتخابات رئاسة الليكود في المرّة القادمة.

في أعقاب هزيمة الليكود في الانتخابات، أعلن شامير عن استقالته من رئاسة حزب الليكود، الأمر الذي فتح المنافسة على رئاسة الحزب، بين الجيل القديم (شارون، أرنس وليفي) والجيل الجديد (موشيه كتساب، مئير شطريت وبيني بيغين)، إلّا أنَّ شخصية نتنياهو كانت الأبرز، واجتهد في تعزيز مواقعه في الحزب، وداخل فروعه. وبعد إعلان أرنس عن عدم رغبته في الترشح لرئاسة الحزب، أعلن نتنياهو بشكل رسمي عن ترشحه لهذا المنصب. في شهر تشرين الثاني 1992، انعقد مجلس الحزب لنقاش مسألة إعادة ترميم الحزب. في هذا الاجتماع اقترح نتنياهو تبنّي طريقة الانتخابات التمهيدية (البرايمريز) لاختيار رئيس الحزب وقائمة مرشحيه للكنيست، وفي هذا الاجتماع ظهر نتنياهو كقائد حقيقي للحزب، فقد تم استقباله

Alhasd-2018-New2.indd 52 06/08/2018 11:58

بالترحيب الشديد من قِبَل أعضاء الحزب. شارون الذي توقع صعود نتنياهو في فترة شامير، أدرك أن آماله في الفوز على رئاسة الحزب أمام نتنياهو ليست كبيرة معلنا عن عدم ترشحه للمنصب؛ أمّا نتنياهو الذي كان يحتاج إلى تأييد بنسبة 75% من أعضاء مركز الليكود لتمرير فكرة الانتخابات التمهيدية، وهي نسبة كبيرة كانت تحتاج إلى جهود كبيرة لإقناع الحزب بها، فقد حصل على نسبة 80% تؤيّد تبني فكرة الانتخابات التمهيدية. وهكذا كانت هذه هي الخطوة الأولى التي يقوم بها نتنياهو وتُظهر بشكل غير قابل للشك أنّ الليكود يمر في مرحلة جديدة بقيادة شاب جديد احتل مواقع الحزب وهزم القيادة القديمة وأيضا القيادة الجديدة الصاعدة من الحكم المحلي (شطريت وكتساب)، وهزم كذلك طبقة «الأمراء» في الحزب، وهو اللقب الذي أطلق على أبناء قيادات الليكود من الجيل الأول (مثل بيني بيغين، دان مريدور).

في الانتخابات التمهيدية والتي جرت لأول مرّة في الليكود في الرابع والعشرين من آذار عام 1993، فاز نتنياهو برئاسة حزب الليكود بأغلبية الأصوات (52%)، بينما حصل دافيد ليفي على 26% من الأصوات، وحصل بيني بيغن (نجل مناحيم بيغن) على 15%، واكتفى موشيه كتساب بنسبة 7% من الأصوات فقط. كان فوز نتنياهو كبيرا محدثا زلزالا في حزب الليكود وفي الحياة السياسية في إسرائيل عموما، فلأول مرّة يرأس حزب الليكود سياسي من الجيل الثاني (بعد مناحيم بيغن ويتسحاق شامير)، وسيكون لاحقا أوّل رئيس حكومة وُلد بعد قيام دولة إسرائيل.

جاء فوز نتنياهو على الرغم من تكشف أول مشكلة شخصية لاحقته. فقبل الانتخابات التمهيدية في الحزب، وتحديدا في الرابع عشر من شهر كانون الثاني عام 1993، ظهر نتنياهو على التلفزيون الإسرائيلي كاشفا عن أنّ هناك أشخاصا هدّدوه بنشر تسجيل له يؤكد وجود علاقة غرامية مع امرأة أخرى (اتضح لاحقا أنَّ اسمها روت بار، وهي امرأة متزوجة عملت في مجال العلاقات العامة في مكتب نتنياهو)، وذلك إذا لم يسحب ترشيحه من رئاسة حزب الليكود. وقد اعترف نتنياهو خلال اللقاء التلفزيوني أنّه كانت له علاقة مع امرأة أخرى خارج حياته الزوجية، وأنّ هذه العلاقة استمرت لفترة قصيرة وانتهت، وأكّد أنّ هذا الأمر يخصه شخصيا مطالبا العفو من زوجته سارة. وقال نتنياهو في نفس اللقاء أنّه يعرف من يقف وراء هذا التهديد مشيرا إلى أنّه لا يستحق أن يكون من قيادات الدولة، وهي مقولة وجهت الأنظار نحو دافيد ليفي الذي أنكر صلته بالموضوع. الغريب في هذه القصة أنّ نتنياهو قدَّم شكوى للشرطة بهذا الخصوص، إلّا أنّه لم يتم التوصل إلى مَن يقف وراء التهديد، ولم يثبت وجود تسجيل، أو وجود لتهديد وُجِّه إلى نتنياهو أصلا. طالب دافيد ليفي من نتنياهو الاعتذار، وهو ما فعله نتنياهو بعد عامين من تفجر القضية. هذه القضية ستلاحق نتنياهو أسبوعا قبل انتخابات

Alhasd-2018-New2.indd 53 06/08/2018 11:58

عام 1996، حيث وصل إلى مسامعه أنّ وسيلة إعلام مركزية سوف تنشر تقريرا عن هذه القضية. وحاول نتنياهو بكل قوته وعلاقته إحباط أو تجميد نشر التقرير من خلال الاتصال مع شخصيات مقرَّبة من رئيس تحرير هذه الصحيفة، وفي النهاية توجّه إلى أرئيل شارون الذي كانت لديه علاقة مقربة من رئيس التحرير، ونجح في وقف نشر التقرير. ومنذ ذلك الوقت ونتنياهو يحمِل موقفا معاديا للإعلام معتبرا أنَّ وسائل الإعلام تحاول إسقاطه وإفشاله (فيردي، 1997).

بعد انتخاب نتنياهو لرئاسة حزب الليكود، بدأت فترة «الدكتاتور»، وهو لقب أطلقه ماكسيم ليفي، رئيس بلدية اللد وشقيق دافيد ليفي، على نتنياهو (بلوم و حيفتس، 2005، صفحة 465). حيث قام نتنياهو بمساعدة مدير عام حزب الليكود الجديد أفيغدور ليبرمان الذي عيّنه بُعيد انتخابه بتغيير دستور الحزب، بحيث منح الدستور الجديد صلاحيات غير مسبوقة لرئيس الحزب. فيما بعد، سيطر نتنياهو بمساعدة ليبرمان على كل فروع الليكود في إسرائيل، حيث دعم مؤيدوه مَن هم موجودون في صف نتنياهو وأضعفوا مَن هم موجودون في صف الآخرين من قيادات الليكود القديمة. في هذه الأجواء تعززت سيطرة نتنياهو على حزب الليكود، لا سيّما عندما قاد الليكود نحو فوز كبير في الانتخابات المحلية نهاية عام 1993. فقد فاز مرشحو الليكود برئاسة المدن الكبيرة، ولأوّل مرّة يتقلد مرشح الليكود منصب رئاسة بلدية القدس (إيهود أولمرت)، كما فاز مرشحو الليكود برئاسة مدن كبيرة ومهمة مثل: تل أبيب، وبئر السبع، ورمات غان وغيرها. عزّز فوز الحزب في الانتخابات المحلية من قيادة نتنياهو، وأعطت مصداقية للتغييرات التي أحدثها في الحزب، وقرّبته خطوة كبيرة نحو رئاسة الحكومة.

دورة نتنياهو الأولى: زرع بذور جمهوريّة اليمين الجديدة

تشير الأدبيات السياسية الإسرائيلية إلى أنّ فترة نتنياهو الأولى في الحكم (1996-1999) كانت فاشلة (منديلوف، 2001). فقد تميزت بضعف قدرة الحكومة على تنفيذ قراراتها. وعانت إسرائيل في فترة حكمه من كساد اقتصادي وارتفاع في معدّلات البطالة، وخضع نتنياهو للضغوط الأمريكية لإكمال المفاوضات مع منظمة التحرير الفلسطينية، ممّا جعل اليمين الأيديولوجي الذي عارض اتفاق أوسلو يرى فيه قائدا ضعيفا لليمين، وعلاوة على ذلك فشل نتنياهو في مشروعه في تغيير أو إضعاف النخب القديمة والتي تجندت ضده للحفاظ على امتيازاتها، ومن هذه الفترة يمكن تأريخ الصراع بينه وبين هذه النخب. كما وظهرت قضايا فساد سياسي تورط فيها نتنياهو، وخاصة قضية محاولة تعيين المحامي روني برؤون مستشارا قضائيا للحكومة، والتي كانت جزءا من صفقة عقدها نتنياهو مع حركة شاس الدينية، بهدف

Alhasd-2018-New2.indd 54 06/08/2018 11:58

الحصول على دعمها في تنفيذ إعادة انتشار الجيش الإسرائيلي في الخليل حسب اتفاق أوسلو ب، وفي المقابل يوافق نتنياهو على تعيين برؤون مستشارا للحكومة والذي تعهد، في حالة تعيينه، بتوقيع صفقة مخففة في قضايا فساد كان رئيس حزب شاس، أرييه درعي، متورطا فيها. لاحقا، أغلق المستشار القضائي الجديد الياكيم روبنشتاين ملف نتنياهو وأبقى على ملف درعي في هذه القضية؛ وذلك لأنّه لم تتوفر أدلة قاطعة تُدين نتنياهو في هذا الملف. كما تميزت فترة نتنياهو الأولى باحتدام النقاش بين المتدينين والعلمانيين بشكل لم يسبق له مثيل؛ وذلك لاعتماده الشديد على الأحزاب الدينية في تشكيل وبقاء حكومته (بشارة، 2005، صفحة 237). هنا أريد أن أفند في هذا الجزء من الكتاب مقولة فشل نتنياهو في هذه الفترة، والادّعاء أنّ هذه الفترة بالذات أسست لهيمنة اليمين الشعبيّ والمتدين لاحقا.

كان نتنياهو أول رئيس حكومة من خارج جيل المؤسسين في إسرائيل، أي الجيل الذي كان شريكا بصورة أو بأخرى في قيام دولة إسرائيل، وكان أول رئيس حكومة يولد بعد قيام إسرائيل، وأول رئيس حكومة ينتخب حسب طريقة الانتخابات المباشرة، كما كان نتنياهو ذلك السياسيّ الذي أدخل إلى ثقافة المجال السياسي الإسرائيلي النمط الأمريكي في الحملات الانتخابية في إسرائيل، على نحو: تنظيم الحملة الانتخابية بالطريقة الأمريكية عبر الاستعانة بمستشارين مهنيين، التركيز على صفات وقدرات الفرد الشخصية وملكته الخطابية، واستعمال وسائل الإعلام بكثافة، والتسويق السياسي وغيرها (ليشم، 2017). أظهر نتنياهو في هذه الحملة كراهيته لليسار عندما همس في أذن الحاخام كدوري، جملته المشهورة التي التقطتها وسائل الإعلام بأنّ «اليسار نَسِيَ ماذا يعني أن تكون يهوديا».

تنسجم هذه المقولة مع مشاركة نتنياهو كرئيس للمعارضة في حملة التحريض ضد حكومة يتسحاق رابين بسبب توقيعها اتفاق أوسلو، وتركز الذاكرة التاريخية الإسرائيلية على مشهد مشاركة نتنياهو في مظاهرة في القدس في الخامس من تشرين الأول 1995، عندما خطب نتنياهو في الحضور، الذي رفع صور رابين بلباس الشرطة النازية السرية (إس إس)، وهتفوا بأنّ رابين هو خائن، وغيرها من الهتافات التي تهدر دمه. إلّا أنّ الذاكرة التاريخية لا تذكر أهم جملة قالها نتنياهو في خطابه المذكور، والتي اعتبر فيها حكومة رابين غير شرعية لأنّها اعتمدت على دعم الأحزاب العربية في تمرير اتفاق أوسلو (الكتلة المانعة)، حيث قال نتنياهو في هذه المظاهرة أنّ اتفاق أوسلو تم إقراره بدعم «أغلبية غير صهيونية والتي تشمل خمسة ممثلين للأحزاب العربية المتضامنة مع منظمة التحرير الفلسطينية» (غلنور و بلاندر، 2013، صفحة 938).

تميَّزت قرارات نتنياهو في فترته الأولى بالتسرع وعدم إدراك الانعكاسات لقراراته،

Alhasd-2018-New2.indd 55 06/08/2018 11:58

وحاول نتنياهو في بداية حكمه التنصُّل من اتفاق أوسلو عبر تجاهل التعهدات التي أبرمتها الحكومة السابقة في إطار الاتفاق، وكان القرار الأساسي الأول الذي اتخذه في هذا السياق هو فتح نفق تحت الجدار الجنوبي من المسجد الأقصى المبارك في أيلول 1996، والّذي أدى إلى مقاومة الفلسطينيين لهذا القرار واندلاع مواجهات بينهم وبين قوات الجيش الإسرائيلي أسفرت عن مقتل سبعة عشر جنديا إسرائيليا واستشهاد مائة فلسطيني. وفي نفس الشهر من العام الذي يليه حاولت إسرائيل اغتيال خالد مشعل في عمّان عن طريق تسميمه، تلك عملية التي أخفقت وأدت في النهاية إلى خضوع إسرائيل لطلب أردني بإرسال الترياق الذي يبطل مفعول السم في جسد مشعل، والإفراج عن زعيم حركة حماس في السجون الإسرائيلية، الشيخ أحمد ياسين.

في هذه الفترة كان رئيس الموساد داني ياتوم، وفي العام الذي يليه (1998) عيّن نتنياهو إفرايم هليفي رئيسا جديدا للموساد، وتحدَّث هليفي في مقابلة معه عن ميزة نتنياهو في هذه الفترة، حيث يذكُر:

«نتنياهو إنسان ذكي جدا، خلال دقائق معدودة يستطيع أن يدرك كل الاعتبارات التي تتعلق بقضية معيَّنة، على كل اتجاهاتها، سياسة داخلية، سياسة خارجية وانعكاسات أخرى. عنده قدرة إدراك لكل الأمور والتوصل إلى اتّخاذ قرار سريع جدا. في بعض الأحيان الأمر يثير الإعجاب، وفي بعض الأحيان هذا يبدو متهورا جدا، ويجب إخباره، عذرا، لا يمكن التسرع. عندما عينت لمنصب رئيس الموساد، دعاني شارون، وزير الخارجية آنذاك، وقال لي بطريقته الوقحة، «إذا فاجأك رئيس الحكومة نتنياهو باقتراح معيَّن، لا تقبله أبدا، قل له إنك بحاجة للتفكير في الأمر، إذا نسي الأمر في اللقاء القادم، اِنسى الموضوع أنت أيضا، وإذا ذكَّرك المرة الثانية بالاقتراح، قل له إنك تفحص ذلك». نتنياهو سريع في اقتراح أجوبة وحلول، والكل عنده يجب أن يكون دراماتيكيا، هو رجل إنتاج الدراما، يوجد لذلك إيجابيات [...]، ولكن ليس دائما» (كرفل، 2016، الصفحات 42-40).

مرّة أخرى، يعتبر الكثير من الباحثين والإعلاميين الإسرائيليين أنَّ الفترة السياسية الأولى لنتنياهو كانت فاشلة، فقد ظهر كقائد سياسي متردّد في اتخاذ القرارات، غير قادر على الوقوف أمام الضغوط الداخلية والخارجية، محتال وليست له كلمة، وينشر وعودا للجميع بعضها متناقض مع الآخر، فضلا عن تغليب دَوْر الضّحيَّة الذي يميز خطابه سواء كان منبعه حقيقيا أو مفتعلا. في كتابها حول شخصية نتنياهو وانتخابات 1999، بعنوان «الشخص الذي انتصر على ذاته»، تشير الصحفية أورلي أزولاي-كاتس إلى أنّ معارضيه، لا سيّما داخل حزب الليكود، بدأوا بالتعرف على شخصيته على أنّها تتمثل في كونه رجلا مناورا وكاذبا ومخادعا، ويستغل من حوله لأهدافه الشخصية حتى لو أدى ذلك إلى إهانتهم، وتفكيره عميق

Alhasd-2018-New2.indd 56 06/08/2018 11:58

وذكي جدا، وهو ساحر، ولكن رؤيته قصيرة المدى تحركها أطماعه الشخصية في الحفاظ على كرسيه، وواقعه الأساسي هو الإعلام وصورته أي العالم الافتراضي (ازولاي-كاتس، 1999). وتستحضر الصحفية تصريحات قالها دان مريدور الذي شغل منصب وزير المالية في حكومة نتنياهو في دورته الأولى، واستقال بسبب نكوث نتنياهو بوعوده له، فضلا عن تراكم أسباب أخرى تتعلق منها بفساد سياسي تورط فيها نتنياهو، أدت به لاتخاذ قرار الاستقالة، مثله مثل آخرين في حكومته الأولى (استقالة مردخاي كوزير للدفاع، استقالة دافيد ليفي كوزير للخارجية). يوصف مريدور شخصية نتنياهو على النحو التالي:

«كانت لبيبي مشكلة مع سياسته، من جهة صرح أنّه سينفِّذ اتفاق أوسلو، ومن جهة أخرى شكل ائتلاف حكومي ضيق يعتمد على قواعد يمينية-دينية. شكّل حكومة فيها تناقضات سياسية داخلية، ولكن ليست هذه هي الفظاعة عنده، وإنّما شخصيته. كان يتصرّف وكأنّه يستطيع أن يخدع من جديد. بيبي هو شخص كلّما عرفته أكثر، فإنّك لا تحب ما تعرفه. من يعرفه، ببساطه، لا يستطيع تحمله. كل قدراته هي قدرات ممثِّل، منصته هي التلفزيون، هناك يبدأ وينتهي كل شيء. بيبي فهم أحد الأمور المركزية في العالم الحديث، وهو الإعلام الجماهيري، وخاصة التلفزيون... عند بيبي الأمر الهام هو الانطباع وليس الواقع، بالنسبة له كل العالم عبارة عن شاشة، وليس هناك أهمية للواقع، وإنما للواقع الذي يتم إنتاجه من خلال الشاشة... هو رجل تسويق رائع، ولكن ليس لديه منتوج للتسويق. كان لبيغين وشامير منتوج، ولبيرس كان منتوج، لبيبي هناك تسويق واحد [ربما يقصد «منتوج»]: شخصية الزعيم. هو لا يعتمد على أحد ولا يثق بأحد. عنده جوهر سياساته الجلوس صباحا مع بعض المساعدين وصياغة «جملة اليوم»، جملة يمكن تكرارها في كل نشرة راديو وتلفزيون. هذه هي فعليّا كل سياساته. مأساة هذا الرجل في كونه رجلا ذكيًّا، صاحب قدرة تفكير وتحليل، يفهم في الاقتصاد، والسياسة الخارجية، لكنه لا يفعل شيئا مع هذا الفهم، لا يهمه ذلك، يريد الحصول على نتيجة، نتيجة واحدة وسريعة، ولا يهمه أنه يتحدث اليوم عن شيء وغدا عن شيء آخر، غير أنّه يجب على النتيجة أن تخدم ماكينة بقائه» (أزولاي-كاتس، 1999، الصفحات 114-113).

يعتقد عالِم الاجتماع الإسرائيلي المعروف باروخ كيمرلينغ أنّ فشل نتنياهو (ولاحقا إيهود براك) يعود إلى كون دولة إسرائيل لم تكن جاهزة بعدُ لقيادات الجيل الثاني (كيمرلينغ، 2001، صفحة 18). ويذهب كيمرلينغ إلى القول أنّ نتنياهو خرج من اللعبة السياسية في أواخر التسعينات لعدم إدراكه التحوُّلات الاجتماعية الجارية في المجتمع الإسرائيلي والتي تتجه نحو انتهاء حكم النخبة الأشكنازية العلمانية اليسارية، وصعود نخب جديدة، تهدف في النهاية إلى تغيير الدولة والمجتمع، وحتى إعادة تعريف العلاقة مع اليهود في العالم (كيمرلينغ، 2001،

Alhasd-2018-New2.indd 57 06/08/2018 11:58

صفحة 12). يمكن القول بأنّ المقولة الأولى لكيمرلينغ صحيحة؛ بينما جانبت المقولة الثانية الصواب. ونقدنا للمقولة الثانية لا ينبع من المساحة التاريخية التي تفصلنا عن نهاية التسعينات بينما كتب كيمرلينغ بحثه عام 2001، وإنّما من قراءة تحليلية لخطاب نتنياهو السياسي في تلك المرحلة، وأيضا من قراءة للتحولات التي حدثت لاحقا في العقد الأول من القرن الـ-21. كان نتنياهو يدرك التحولات الجارية في المجتمع الإسرائيلي، وكان يدرك أكثر الكراهية الموجودة لدى الشرائح الاجتماعية الصاعدة تُجاه النخب القديمة، وحاول بنفسه الصدام معها من أجل تغييرها، ولكن يتفق كاتب هذه السطور مع ما قاله كيمرلينغ أنّ هذه الفترة كانت فترة تحول، استمرت حتى نهاية حكم شارون، وربما فشل نتنياهو لأنّه أراد تسريع هذا التحول التدريجي الذي يحدث بتغيير ثوري لم تسمح به «الدولة العميقة» والنخب القديمة، وليس اليسارية فقط، فهناك نخب يمينية تنتمي أيضا إلى النخب القديمة، شارون كان آخر الممثلين لها.

يشير عزمي بشارة في هذا السياق، إلى أنّ «نتنياهو دخل في صراع مع المؤسسة الإسرائيلية التي ترى نفسها استمرارا للنخبة التي أقامت الدولة. وساعد شعور عام لدى نصف المجتمع الإسرائيلي بأنّ هناك محاولة لاستثنائه وإخراجه من السلطة في عملية تتجاوز تداول الحكم بين الأحزاب عبر انتخابات. فشل نتنياهو. ولو تجاوز المحتفلون بفشله دوافع الاحتفال باتجاه تغيير حقيقي في سلم الأولويات الاجتماعي واستنتاج النتائج الصحيحة سياسيا، لكان من المتوقع أن تنجم تطورات إيجابية عن فشل نتنياهو» (بشارة، 2005، صفحة 203).

نقاش وخلاصة

يقترح البحث الحالي قراءة أخرى لهذه الفترة تختلف عن القراءات الإسرائيلية الدارجة، انطلاقا من مقولة بأنّ هذه الفترة ساهمت في تأسيس مرحلة جديدة في السياسة الإسرائيلية، وظهرت نتائجها في العقد الأخير تحديدا. غالبية القراءات التي تنطلق من فشل فترة نتنياهو تقوم على أساس قراءة ضيقة تنحصر في غياب قدرته على إدارة حكومته، والتي عانت من صراعات داخلية أدت في النهاية إلى تقديم موعد الانتخابات، فضلا عن تراجعه عن وعوده بعدم الانسحاب أو إعادة الانتشار من مناطق من الضفة الغربية. ولكن هذا كان شأن حكومات إسرائيلية منذ الثمانيات، ويعود جزء كبير منه إلى بنية النظام السياسي والانتخابي الإسرائيلي. ودون التقليل من فشل نتنياهو في إدارة حكومته لقلة خبرته في العمل السياسي الحزبي، وصعوده السريع إلى قمة رأس الدولة، فإنَّ هذه الفترة حملت معها تحولات كبيرة ستظهر لاحقا في إسرائيل. ويمكن الإشارة إلى أهم هذه التحولات:

أولا: شكلت هذه المرحلة بداية أفول الجيل القديم في السياسة الإسرائيلية، وبداية صعود

Alhasd-2018-New2.indd 58 06/08/2018 11:58

جيل جديد، أو أنها مهّدت الطريق لصعود جيل جديد داخل اليمين، سينقلب على الجيل القديم. ففي هذه الفترة، انتصر نتنياهو على أربع قوى مركزية، انتصر على الجيل القديم في الليكود وأنهى بشكل شبه نهائي دوره في السياسة الحزبية، وبقي من هذا الجيل في صفوف الليكود أريئيل شارون، والذي سيقود دولة إسرائيل بعد اندلاع الانتفاضة، لفترة قصيرة، ولكنها حاسمة في هيمنة اليمين على إسرائيل. كما انتصر نتنياهو على شمعون بيرس في الانتخابات وهكذا أنهى حكم هذا الجيل في حزب العمل أيضا. وليس صدفة أن يدعم بيرس لاحقا انضمام حزب العمل إلى حكومة شارون عام 2001، وينضم هو بنفسه إلى حزب «كاديما» الذي أسسه شارون بعد ذلك، فقد كان يعتقد أنهما الوحيدان مَن تبقا من جيل المؤسسين، وعليهما القيام بخطوات تاريخية قبل مغادرتهما النهائية للحقل السياسي الإسرائيلي، فضلا عن مشاركتهما العداء لنتنياهو. في هذه الفترة انتصر نتنياهو أيضا على جيل أمراء حزب الليكود، وقطع الطريق أمام طموحهم في التقدم في الحياة السياسية. وتميز هذا الجيل بإخلاصه لتوجهات اليمين الليبرالية فيما يتعلق بقضايا المجتمع، الدين، القضاء والإعلام وغيرها، فبعد انتهاء هذه الفترة قلت آمال هذا الجيل في العودة إلى الحياة السياسية والتأثير الفاعل عليها (لذلك انضم أغلبهم إلى حزب كاديما لاحقا)، وحتى تسيفي ليفني التي كانت من جيل الأمراء وحاولت الصعود إلى قمة الهرم السياسي بعد ايهود أولمرت، فعلت ذلك في اطار حزب كاديما، وانهار حلمهما بعد انتخابات 2009. وبقي من جيل الأمراء في الليكود حتى اليوم بيني بيغن، ودخل قائمة الليكود في انتخابات 2015 ضمن المقاعد المحصنة التي يختارها نتنياهو بدون انتخابات، وكان بيغن ممَّن استدعاهم نتنياهو، لتزيين قائمته بقيادات قديمة، وهكذا أطلق ميتشل على نتنياهو في كتابه حول قادة الليكود «ملك الأمراء» (Mitchell, 2015). كما ساهم نتنياهو في أفول نجم زعيم الشرقيين في حزب الليكود، دافيد ليفي، فبعد انتصاره عليه في الانتخابات التمهيدية، أشركه في حكومته عام 1996، ولكنه سرعان ما ترك ليفي الحكومة بسبب نكوث نتنياهو بوعوده له، وهكذا لم يستمر دافيد ليفي في الليكود وأنهى دَوْره السياسي بعد مشاركته حكومة براك لاحقا وانهيارها. لذلك، كانت هذه الفترة تمهيدا لظهور جيل جديد في السياسة الإسرائيلية عموما، وداخل الليكود خصوصا لا تستأنف على زعامة نتنياهو، بل ترى فيه قائدا أوحد لليكود، وغير قابل للهزيمة، وهو ما يشهده الليكود اليوم من سيطرة وهيمنة نتنياهو على الحزب، وخوف أعضائه منه وخشيتهم من الاستئناف على قيادته، ومن يفعل ذلك يجد نفسه خارج صفوف الحزب.

ثانيا: شكّلت هذه الفترة بداية تأسيس المرجعية الدينية في حزب الليكود وتسييس الجمعيات اليمينية وربطهما بمشروع هيمنة اليمين على الحقل السياسي والاجتماعي في إسرائيل. فلأول

Alhasd-2018-New2.indd 59 06/08/2018 11:58

مرّة تتجند حركة «حباد» الدينية لصالح مرشح في الانتخابات الإسرائيلية، فهي مَن رفعت شعار «نتنياهو جيد لليهود» خلال الحملة الانتخابية عام 1996، وهكذا ربطت هذه الحركة ذات النفوذ المحلي والعالمي نفسها باليمين عموما والليكود خصوصا. وتتصل هذه النقطة بهمس نتنياهو للحاخام كدوري «أنّ اليسار نسي معنى أن تكون يهوديا»، وهكذا أعطى نتنياهو موقعا هاما للهوية الدينية في معركته السياسية ضد خصومه، هذه الهوية التي ستتعزز في أيديولوجية الليكود لاحقا، وتصبح مكوِّنا مركزيا لليمين الجديد عموما. وفي هذه المرحلة بدأ يتكون مجتمع مدني يميني يرى في التأثير على توجهات الحكومة وعلى المساهمة في بقاء اليمين في الحكم وظيفة مركزية له. وسيلعب المجتمع المدني اليميني دَوْرا حاسما في هيمنة اليمين على الحقل الاجتماعي الإسرائيلي بعد صعود نتنياهو الحكم مرّة أخرى عام 2009.

ثالثا: شكّلت هذه المرحلة نهاية اتفاق أوسلو، فعلى الرغم من قيام نتنياهو بتنفيذ إعادة الانتشار في الخليل، إلّا أنّه لم يلتزم بباقي التعهدات الإسرائيلية في الاتفاق. ويمكن القول أنّ إعادة الانتشار في الخليل كانت آخر التزام تنفذه إسرائيل في إطار اتفاقيات أوسلو حتى اليوم، ومع انتهاء تاريخ الاتفاق (خمس سنوات) انتهى معه اتفاق أوسلو عمليا، وبقي منه ما تم تنفيذه، سلطة فلسطينية، وتقسيم الضفة الغربية إلى ثلاثة مناطق، حيث سيتحول هذا الواقع إلى أساس مشروع اليمين الجديد في العقد الأخير. وهذا يتمثل في بقاء سلطة فلسطينية كتجسيد لحق تقرير المصير للفلسطينيين، وضم زاحف وتدريجي لباقي الأرض.

رابعا: شكّلت هذه المرحلة بداية مشروع تغيير النخب القديمة في إسرائيل. صحيح أنّ نتنياهو فشل في هذا المشروع؛ لأنّه اتخذ استراتيجية صدام ومواجهة مباشرة مع هذه النخب، إلّا أنّه بمجرد طرح هذا المشروع أو توجيه الخطاب، فهو يكون قد شكّل رافعة ولافتة لليمين الجديد لاحقا، الذي اعتبر أنّ حكمه لم يترجم إلى تأثير على الحقل الاجتماعي والسياسي بسبب بقاء النخب القديمة، وهي المقولة التي ستدفع اليمين في العقد إلى تغيير النخب أو تحجيم تأثيرها، عبر تشريعات قانونية، وتعيينات جديدة، ومراسيم إدارية، وتغييرات بنيوية في الجهاز البيروقراطي الإسرائيلي. كان نتنياهو أول قيادي في الليكود يعتبر تغيير النخب مشروعا يُكمل وصول الليكود إلى الحكم. وكما يقول بشارة فقد «اكتفى شامير بالحكم وبتغيير السياسة لصالح اليمين وتجميد العملية السلمية، وذلك دون أن يمس المؤسسة الإسرائيلية الحاكمة، بدءا بحزبه هو وانتهاء بالنخب السياسية والقضائية والاقتصادية. ولكن نتنياهو جاء ببرنامج طموح لتغيير النخب القائمة، بدءا من الصراع داخل الليكود نفسه... وانتهاء بالصدام مع النخب الأكاديمية والثقافية والقضائية... كل ذلك بالتحالف مع عناصر هامشية في المؤسسة الإسرائيلية مثل الأحزاب الدينية... ومع عناصر من الأثرياء السماسرة غير المنتجين... ولم يكن لديه مانع من

Alhasd-2018-New2.indd 60 06/08/2018 11:58

استخدام وسيلة مخاطبة الانتماءات الطائفية ونقمة العناصر الاجتماعية المهمشة ضد المؤسسة القائمة...» (بشارة، 2005، صفحة 202). وقد نجح نتنياهو في بلورة وعي اليمين وتوجيه اهتمامه إلى هذه المسألة في هذه الفترة، وإذا كان نتنياهو قد فشل عمليا في هذا المشروع، فإنّه قد نجح في تذويته في وعي اليمين كمشروع مستقبلي له بُعد أيديولوجي، وليس بُعدا يتعلق بالحوكمة والإدارة. فتماهي النخب مع اليمين سوف يُمكّنه من تمرير مشروعه الأيديولوجي بدون وجود عقبات أمام تنفيذ هذا المشروع.

خامسا: شكّلت هذه الفترة بداية تغلغل المستوطنين إلى صفوف حزب الليكود (غلنطي، 2007، صفحة 62). وقد كان الليكود بمثابة حزب «أرض إسرائيل» ولم يكن حزب المستوطنين، وقد عمل نتنياهو على تغيير هذا الواقع وذلك من خلال التقرب للمستوطنين، وفتح أبواب الحزب لهم. أراد نتنياهو من هذه الخطوة تقليص قوة الجناح الليبرالي في الحزب، لا سيما بعد محاولة هذا الجناح الإطاحة به بعد اغتيال رابين. وأراد تعزيز دعم المستوطنين لليكود على حساب الأحزاب اليمينية المتطرفة التي مثلتهم انتخابيا وأيديولوجيا، حيث اعتقد نتنياهو أنّ الليكود يمثلهم أيديولوجيا في إطار مشروع «أرض إسرائيل»، (ليس في توجهه الليبرالي في مواضيع معيّنة)، ولكنه لا يترجم ذلك انتخابيا في صفوفهم، فضلا عن محاولته تجنب انتقاد الأحزاب اليمينية المتطرفة له من خلال تقريب الليكود لهم. وهكذا شكّلت هذه المرحة بداية تغلغل المستوطنين في حزب الليكود، الأمر الذي سيتعزز بقوة في العقد الأخير، ليحولهم إلى قوة مركزية ومؤثرة داخل صفوف الحزب.

سادسا: وهو التحول الذي يشير إليه بشارة في كتابه «من يهودية الدولة حتى شارون»، فنتيجة تحولات تاريخية وسياسية، تحول مصوِّتو الأحزاب الدينية إلى مصوتين لليمين، بحيث لم تعد تكتفي الأحزاب الدينية «بالتعبير عن مصالح قطاع معيَّن من السكان، وإنّما رغبت في التأثير على طابع الحياة في الدولة وتطوير مصالح جديدة تشمل ازديادا في قوة المجالس الدينية وموظفيها وبيروقراطيتها» (بشارة، 2005، صفحة 233). واليوم تشهد إسرائيل تغلغلا للخطاب الديني في المجال العمومي، ومحاولة تقليص مساحة المواقع التي لا يؤثر فيها الدين، بتشريعاته وأوامره، ويظهر ذلك في كافة مناحي الدولة والمجتمع، مثل تديين الجيش، سيطرة وهيمنة المؤسسة الدينية الأرثوذكسية على التهويد الشخصي (غيور) في إسرائيل والعالم، ومنع إصلاح خط سكك الحديد وفتح المحلات التجارية أيام السبت وغيرها.

Alhasd-2018-New2.indd 61 06/08/2018 11:58

المصادر

أزولاي-كاتس، أ. (1999). **هايس شنيتسيح إت عتسمو: بحيروت 1999 (الرجل الذي انتصر على ذاته: انتخابات 1999)**. تل أبيب: يديعوت أحرونوت.

بشارة،ع. (2005). **من يهودية الدولة حتى شارون: دراسة في تناقض الديمقراطية الإسرائيليّة**. القاهرة: دار الشروق.

بلوم، غ، و حيفتس، ن. (2005). **هروعي: سيبور حياف شيل أرئيل شارون (الراعي: قصة حياة أرئيل شارون)**. تل أبيب: يديعوت أحرونوت.

غلنطي، س. (2007). اليطون بوليتيوت بيمين همبا- هليكود (نخب سياسية على يمين الخارطة- الليكود). تأليف أليعزر بن-رفائيل، بنيامين نويبرغر، حافا عتسيوني-هليفي، و غابي شيفر، **اليتون حدشوت بيسرائيل (نخب جديدة في إسرائيل)** (الصفحات 43- 70). القدس: موساد بيالك.

غلنور، ي، و بلاندر، د. (2013). **همعريخت هبوليتيت بيسرائيل (الجهاز السياسي في إسرائيل)** الجزء الثاني. تل أبيب: همخون هيسرائيلي لديموفراطيا (المعهد الإسرائيلي للديمقراطية).

فيردي، ف. (1997). **بيبي- مي أتا أدوني روش هممشلاه؟ (بيبي-مَن أنت سيدي رئيس الحكومة؟)**. تل أبيب: منشورات كيتر.

كرفل، د. (30 أيلول, 2016). **حوشخ عال بني تيهوم (ظلام على وجه الهاوية)**. هآرتس، الصفحات 44-37.

كسبيت، ب، و كفير، أ. (1997). **نتنياهو: هديرخ إل هكوح (نتنياهو: الطريق إلى السلطة)**. بتل أبيب: ألفا تكشورت.

كيمرلينغ، ب. (2001). **كيتس شلطون هأحوساليم (نهاية حكم الهيمنة الإنكشاريّة)**. القدس: كيتر.

ليشم، ب. (2017). **نتنياهو: بيت سيفر لشيفوق بوليتي (نتنياهو: مدرسة في التسويق السياسي)**. تل أبيب: منشورات مطر.

منديلوف، ي (2001). **هليكود ببحيروت 1999: ميروتس إل توخ هكشلون (الليكود في انتخابات 1999: سِباق نحو الفشل)**. تأليف أريان أشار ، و ميخال شامير، **هبحيروت بيسرائيل- 1999 (الانتخابات في إسرائيل 1999)**(الصفحات 314-283). القدس: همخون هيسرائيلي لديموقراطيا.

Alhasd-2018-New2.indd 62 06/08/2018 11:58

نتنياهو، ب. (1987). **هطرور: كيتسد ينتسحوا مشطريم ديموقراطيم إيت هطرور: "كيف تنتصر الأنظمة الديمقراطية على الإرهاب".** تل أبيب: معهد يونتان.

هرئيل، ي. (29 كانون الاول، 2017). **بيني كتسوبير، ممنيغي هتحيا: نتنياهو شيدل إت همفلغا لفروش ممشيليت شامير ب1992- (بيني كتسوبير من قيادات هتحيا: نتنياهو طالب من حزب هتحيا الخروج من حكومة شامير في 1992)**. تم الاسترداد من هآرتس: https://www.haaretz.co.il/news/politi/.premium-1.5516834

Thomas Mitchell. (2015). *Likud Leaders: The lives and Careers of Menahem Begin, Yitzak Shamir, Benjamin Netanyahu and Ariel Sharon*. North Carolina: McFarland and Company Publishers

Alhasd-2018-New2.indd 63 06/08/2018 11:58